اشكالية التفسير الأثرى للعناصر الروحانية فى الفن المسيحى المبكر فى مصر (رؤية في العصر الروماني المتأخر والمسيحي المبكر)

محمد عبد الفتاح السيد*

مدخل

مما لا شك فيه أن البحث عن مدخل لتوضيح أهمية العناصر الروحانية فى الفن المسيحي فى مصر قد يحتاج إلى محاولة لادراك البعد اللاهوتي فى العقيدة المسيحية وتاريخ تطورها ادراكا متعمقا. فالعناصر الروحانية والفكر الغيبي يعدان من أهم مقومات ووسائل انتشار المسيحية فى مصر، فمن خلال تفسير الكيان اللاهوتى والناسوتى فى شخصية السيد المسيح يمكن تحديد البداية التى انطلقت منها ثقافة التفسير الروحاني للأحداث التاريخية المرتبطة بسيرة السيد المسيح ثم سيرة الرسل ومن تابعهم من معلمي المسيحية الأوائل فى العصر الروماني المتأخر، هذا المفهوم طرح قواعد التعاليم الروحانية فى مصر خلال الفترة من بداية القرن الثاني وحتى بداية القرن الثالث الميلادي وهى الفترة التى اعتبرت كافية لوضع القواعد الروحانية فى كيان العقيدة المسيحية ربما حتى الأن[1]. وعقب تلك الفترة جاءت كنسية الإسكندرية فى محاولة لفرض سيطرتها على المسيحية بصفة عامة فى مصر ولكن بعد أن تأسست للممارسات المسيحية قاعدة روحانية فى تفسير ظواهرها الأساسية وأصبح لها مكانة على المستوي الاجتماعي فى مصر.

فى البداية يجب توضيح مفهوم الإشكالية المعنونة فى المقال، فهى تذهب نحو الوصول إلى رؤية تفسيرية لما وراء العمل الفني من قيم روحانية أساسية فى جوهره.

---

* جامعة الإسكندرية

[1] يقصد بالتأريخ المقترح هنا بداية انتشار الفكر الغنوسي المبكر Gnosticism فى مصر، والذي مارس لأول مرة التفسير الروحاني للاحداث المسيحية التى ارتبطت بتاريخ المسيح (السيرة الذاتية، حياته على الأرض، معجزاته، قيامته، صورته اللاهوتية) كوسيلة مبررة لدخولها وانتشارها فى مصر، وهي الفترة التى سجلتها المصادر الكنسية الغربية برؤية رافضه للتعاليم الروحانية التى مورست فى مصر على ايدي الغنوسيين أمثال أتباع الزعماء (كرينثوس وكرابوكراتيس وباسيليديس، والمعلم الكبير فالنتينيوس). كما أنها الفترة التى انتشرت فيها التعاليم الغنوسية التى جاء ت لتفسر الغموض المحيط بولادة المسيح الإلهية وصعوده وقيامته بمفاهيم روحانية ميتافيزيقية. حول تلك الفترة راجع:

Lash, John Lamb. Not in His Image: Gnostic Vision, Sacred Ecology, and the Future of Belief. Chelsea Green (2006) 10ff, 123ff; Layton, Bentley. Gnostic Scriptures. Doubleday. (1987) 5, 18; Dictionary of Early Christian Literature, (New York: The Crossroad Publishing, 2000) = DECL, 590-591.

ولكن الحديث عن العناصر الروحانية فى علم الأثار المادي قد يكون مشكلة فى حد ذاته لأنه لكي نبحث عن عنصر روحاني فى القطعة الأثرية فإننا نجردها من زمانها ومكانها ووصفها المادي الملموس، بل أيضا من جماليات أسلوبها الفنى الذي قد لا يعنينا بصورة كبيرة بقدر ما يعنينا المحتوي الجوهري الذي نحاول من خلاله الوصول للعناصر الروحانية التى تتفق وثقافة المتلقي فى تلك الفترة.

من هنا أصبح هناك إشكالية فى التعامل مع أثار تلك الفترة، فعلى الرغم من ثبوت أنتشار الثقافة الروحانية فى المجتمع المصري منذ بداية القرن الثاني الميلادي طبقا للمصادر التاريخية والدينية[٢]، إلا أن تلك الثقافة الجديدة لاقت جبهة أعداء كبيرة من خارج مصر فى نطاق مفهوم الكنيسة العالمية[٣]، ثم من داخل مصر فى نطاق سلطة كنيسة الإسكندرية، وبالتالي تكونت جبهات رفض معلنه ضد الطابع الروحاني فى الممارسات المسيحية حتىً على نطاق حركة الرهبنة المصرية، ولكن على الرغم من ذلك فإننا نلاحظ أن السلطة الروحانية ومفاهيمها كانت عنصرا فعالا فى انتشار المسيحية منذ دخولها وربما حتى الأن، وهو الأمر الذي يتفق مع الطابع النفسي-التديني للمواطن المصري الذي تعود على التوظيف الديني المغلف بالأسرار والغموض المستتر الذي يصل فى أغلب الاحيان إلى الأبعاد الأسطورية الخيالية، فتلك المنطقة تعطي نوعا من الحدود التى لايستطيع أن يتخطاها، فعمل على أن يتركها لمن يدركها ادراكا كاملة، واكتفي هو بالتصديق والانبهار والتطبيق والاتباع دون وعي فى أغلب الأحيان.

ولكن لكي نقييم إشكالية العناصر الروحية فى الفن والثقافة المصرية فى العصر القديم المتأخر، يجب أدراك مقومات الثقافة الروحانية المسيحية فى مصر وسرد تطورها التاريخي ومصادرها، ثم نحاول بعد ذلك تطبيق دراستها على الجانب الفني الممارس فى تلك الفترة، على أن يكون الهدف الاساسي للدراسة وضع تصور منهجي لتفسير تلك العناصر الروحانية فى اللوحة الأثرية دون مبالغة عن واقع استخدامها وتوظيفها الطقسي.

أولا: البعد التاريخي للثقافة الروحانية فى مصر

مما لا شك فيه أن هناك حاله من الغموض المنهجي شكلت جانبا كبيرا فى تفسير بعض القواعد المسيحية اللاهوتية فى مصر منذ بداية أنتشارها فى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، فمن الملاحظ إن تلاميذ المسيح كانوا يدركون معني التعاليم الجديدة التي نادي بها المسيح مثلما ادراكها اليهود، فقد كانوا علي يقين تام بناسوت

---

[2] راجع لاحقا (المصادر الروحانية التى عثر عليها فى مصر)

[3] Lash, J. L. Not in His Image: Gnostic Vision, Sacred Ecology, and the Future of Belief. Chelsea Green (2006) 10-12; Dictionary of Early Christian Literature, (New York: The Crossroad Publishing, 2000) =DECL, 590-591.

المسيح من خلال قصة حياته معهم بما فيها قصة مولده، والكيان الغيبي فيه، وهم كذلك الذين رأوا المسيح يحاكم ويضرب ويهان ويصلب حتى الموت ويوضع في قبره الجديد. هذا الوصف الدقيق أجمعت عليه الأناجيل الثلاثة (متى ٢٨ :١- ٢٠)، (مرقس ١٦: ١-٨)، (لوقا١:٢٤ -١١)، وإن كانوا في تسجيلهم لهذه الأحداث قد اختلفوا إلي حد ما، كل حسب فهمه وإدراكه للحدث وثقافته. ولكن هؤلاء التلاميذ أنفسهم هم الذين رأوا قيامة المسيح بعد موته، يظهر لهم أكثر من مرة في مناسبات عديدة، لذلك فالنظرية اللاهوتية هنا تعتقد بأن الإيمان المسيحي بنشر الديانة الجديدة قد ولد في قلوب هؤلاء التلاميذ بعد حادث القيامة، وأن كافة الأوامر التي صدرت إليهم بنشر المسيحية والتبشير بها في الأرض جاءت بعد هذا الحادث مباشرة.[4]

ويعد مفهوم القيامة بكل ما يشمله من رؤي ومناقشات تؤمن به أو ترفضه أو تعتبره نوعا من الدعاية الأسطورية، إلا أنه بات حقيقة مؤثرة فى تطور العقيدة فيما بعد، فقد أضاف مفهوم القيامة البعد الروحاني فى العقيدة دون ان يدرك تلاميذ السيد المسيح فى تلك الفترة خطورة هذا المفهوم الجديد، حيث كانوا لا يدركون أبعاده الثقافية بصورة كاملة بالمقارنة مثلا بتطور حركة الفكر الفلسفي (اليوناني- التوراتي) فى مدرسة الإسكندرية فى نهاية العصر البطلمي وبداية العصر الروماني[5]. ولكن بعيداً عن مفهوم

---

[4] Brown, R. E. The Death of the Messiah: From Gethsemane to the Grave (New York: Doubleday, Anchor Bible Reference Library, 1994) 964ff; Grant, M. Jesus, An Historian's View of the Gospels (New York: Scribner's 1977) 34-35, 78, 166, 200; Fredriksen, P. Jesus of Nazareth, King of the Jews (Alfred A. Knopf, 1999) 6-7, 105-110, 232-234, 266.

[5] راجع محاولات فيلون الفلسفية فى تقريب وجهات النظر بين الفكر الافلاطوني القديمة والنصوص التوراتية، وتقديمه بصورة تتكيف مع متغييرات العصر الجديد، وترتبط بالقدرة التفسيرية للفكر التوراتي. وبالتالي أصبحت الفلسفة الروحانية المستوحاة من الفلسفة الافلاطونية رؤية جديدة فى كتابات فيلون الباحث عن نموذج روحاني فى الكتاب المقدس من خلال اشخاص يمكن لهم تقديم تلك الصورة للبشر مثل الأنبياء (ابراهيم ويعقوب واسحاق وموسي) كما أن كتابات فيلون كانت تبتعد عن مفهوم العنصرية اليهودية بل كانت تمزج فى أبداع غير منتشر آنذاك بين الإيمان الغيبي، والفلسفة الروحانية التخيلية، وبين القدرة على تعميق الفكر الأخلاقي الإنساني فى النفس البشرية، هذا التصور كان من أهم سمات الفكر الثقافي المتداول فى الأسكندرية فى القرن الأول الميلادي، وهى الأرض الخصبة التى جاءت عليها أخبار المسيح وقيامته وتكوينه الروحاني الأسطوري، وبالتالي صارت القوالب (الافلاطونية- الفيلونية) قاعدة لتفسير المسيحية فى القرن الرابع والخامس بعيد عن الفكر الغنوسي الذي حكم عليه بالهرطقة. راجع: محمد عبد الفتاح، المنهجية التاريخية فى رصد دخول وانتشار المسيحية المبكرة فى مصر، مجلة المجلس الأعلي للثقافة (لجنة الآثار) ٢٠٠٦. كذلك يمكن الرجوع إلى:

Van Gorcum & Comp B. Philo in Early Christian Liter, (Augsburg Fortress Publishers, 2006), 8-12, 34-44; David T. Runia, "Philo, Alexandrian and Jew," Exegesis and Philosophy: Studies on Philo of Alexandria (Variorum, Aldershot, 1990) 1-18; Peder Borgen, "Moses, Jesus, and the Roman Emperor Observations in Philo's Writings and the Revelation of John," (Novum Testamentum 38. 2. 1996) 145-159.

القيامة، وهل هي حقيقة أم أسطورة؟ فإن هناك صدمة فكرية حدثت لهؤلاء التلاميذ أو اليهود المعاصرين لهذا الحادث، تلك الصدمة الفكرية، حتى لو فرض أنهم صدقوها، وأنها حدثت بالفعل، فستبقى (إشكلية عرضها) بتلك الصورة على العامة وإقناعهم بها، فقد كانت تفوق قدرة الإدراك البشري أو الفلسفي المعاصر في أورشليم. فاليهود كانوا يعلمون بالناموس، وتمسكوا بالموجودات المحسوسة، لذلك تقبلوا المسيح كانسان، كبشر، مثله مثل بقية رسلهم السابقين. ولكن حادث الانقلاب في شخصية السيد المسيح الذي يعرفونه كبشر وتحوله الي كينونة إلهية كبرى في حادث القيامة، جعلت الأمور أكثر اختلاطاً من ذي قبل، فعلي الرغم من محاولات الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) تحديد تلك الأمور وصياغتها برؤية شخصية ودينية محددة، إلا أنها لم تكن قادرة علي إشباع رغبات الشعوب التى تمارس الفكر الفلسفي الهيللينيستي في تصديق هذا الحدث، لذلك عمل (بولس) و(يوحنا) علي توضيحها في حدود معينة حتى لا يخرجوا عن الكيان المسيحي، كذلك كانت رؤيتهما في حدود علمهما وإدراكهما الفلسفي والثقافي[٦]. كما سيطرت علي كتاباتهما الأمور اللاهوتية وتوضيح إجابات متعددة لتساؤلات كثيرة حول حقيقة وجوهر المسيح، وهل نقبله بشراً أم إلهاً؟. إلا أنهما أيضاً لم تكن لديهما القدرة علي تعويض الأناجيل الثلاثة، وربما يرجع ذلك لخلفيتهما التعليمية عندما نقارنها بخلفية الطبقة المثقفة في بعض الولايات الرومانية ولا سيما في آسيا الصغرى وإنطاكية والإسكندرية وروما. كذلك يمكن إضافة أن الإرث الديني والعقائدي والحضاري عند تلك الشعوب ومدى ارتباطه بهم لم يكن في حسبان واضعي الأناجيل. ومن هنا تركوا الباب مفتوحاً لكل من يجد في نفسه القدرة علي تفسير الحدث وتفسير كينونة المسيح وتحديد العقيدة والممارسات الطقسية التي لم تدون في الأناجيل. هذا الباب المفتوح علي مصراعيه ساهم بصورة إيجابية في التطور الطبيعي للعقيدة الجديدة، فخرجت الغنوسية في مصر، سلوكاً غريباً، مختلطاً، مرناً، غامضاً ومقبولاً شعبياً ولكنه متميز بالتطور والابتكار والتكيف مع الظروف المحيطة به، وهو يعد أول فكر ديني عقائدي يظهر في مصر قائم على قواعد الفكر الروحاني فألبس المسيحية ثوبا روحانيا محليا مصريا يتفق مع الإرث الديني والعقائدي والحضاري ولا سيما في مرحلة الإعداد والانتشار للمسيحية كعقيدة جديدة في مصر.

---

[6] يعتبر إنجيل يوحنا المصدر الأول غير المباشر في تحديد نوعية الفكر المغاير الجديد (المضاد) لفكر الأناجيل، فقد كتب إنجيله في نهاية القرن الأول الميلادي، وهو مختص بالإجابة عن السؤال المهم والمحير آنذاك (من هو المسيح؟) ولعل بداية الإنجيل تحدد الإجابة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله وكان الكلمة الله," (يوحنا ١:١-٥)هذه المقدمة الدسمة والعميقة في مفهومها لا تزال غامضة حول معني (الكلمة λογος)، وهي دائماً في حاجة إلى تفسير. في حين نجد يوحنا بتفسيره لها يقترب ويتعمق في النظرية الفلسفية، وهو ما شجع العارفين بأمر الفلسفة من التدخل لتفسير هذه الآيات المذكورة في إنجيله بما يلائم أفكارهم وميولهم الفلسفية وتفسيرات روحانية.

الفكر الروحاني فى الثقافة الغنوسية فى مصر

تعرف الغنوسية Gnosis -γνώσις بالمعرفة[٧]، وهى لا تعني عموم المعرفة بل يختص مفهومها فيما يعرف بالمعرفة الباطنية والتى يمكن تبسيط معناها بالتعليم الروحانية التى عالجت قصور تفسيرية وثقافية فى تعاليم الرسل أثناء الفترة المعروفة بفترة (تعاليم ما بعد القيامة). وتعد تعاليم ما بعد القيامة من أخطر مراحل التطور الديني للمسيحية عبر تاريخها الطويل وإلى الآن، فهي المنطقة الحذرة الصعبة والغامضة عند العديد من العلماء[٨]. فبعيداً عن مشكلة القيامة وتفسيرها فإن خروج العقيدة بكل ما تحمله من غموض تفسيري إلي المجتمعات الخارجية – فى نطاق الولايات الرومانية الوارثة للثقافة الهلينستية– كانت من المشكلات الكبري التى واجهت المسيحية فى تلك الفترة المبكرة، بل أن محاور الخلاف بين العديد من المذاهب بعد ذلك كانت خاضعة دون شك لتفسير تلك التعاليم التي خرجت بصورة شخصية ضد تعاليم التلاميذ ولم تقاوم كما ينبغي إلا فى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وتركت، فأثرت بصورة قوية في مفهوم المسيحية ولا سيما في مصر[٩]. ولكن لا يمكن الجزم بأن تعاليم ما بعد القيامة قد تبدو منذ البداية عناصر مشابهة للتعاليم الغنوسية الذي تبلور مفهومه في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، أو هي تتفق مع ما عثر عليه في أناجيل نجع حمادي ١٩٤٥. وذلك لأن تلك التعاليم لم تظل كما هي، بل خضعت لتطوير وتغيير طوال الفترة منذ بداية ظهورها في منتصف القرن الأول وحتى بداية القرن الثالث الميلادي، وذلك من أجل تحديدها وتقوية أركانها وتثبيت أوتادها في المجتمع المصري. ولكننا (مجازاً) يمكن أن نعتبرها مرحلة من المراحل

---

[7] تمثل دراسة الفلسفة الدينية المعروفة بالغنوسية عقبة رئيسية شائكة في تتبع تطور العقيدة المسيحية في مصر، وعلي الرغم من وضوح الأدلة والبراهين والمعطيات التي تؤكد مساهمتها الكبرى في تقبل المصريين للمسيحية، إلا أن هناك تستراً خفياً وراء الاعتراف بها ومناقشتها بصورة إيجابية كأحد مظاهر الفكر الديني والاجتماعي في حقبة مهمة من التاريخ المصري. عنها راجع:

Foerster, W. Gnosis, (Oxford. 1972) I.34-36, 59; Foerster. W. Gnosis. A Selection of Gnostic Texts. 2 vols. (Oxford 1974); Layton. B. The Gnostic Scriptures, New York, Doubleday, (1987)5-15; Quispel. G. Origen and The Valentinian Gnosis, (V. Ch. 1974)29-42; Girggs. C.W., Early Egyptian Christianity from its Origins to 451.C.E, (Leiden, 1993) 13-14.

[8] حول تعاليم ما بعد القيامة: راجع:

Eusebius. (HE) 11. 1, 2. 10-13; Irenaeus. (Adv. Haer.) 1, 20-25; Bonifas. F. Histoire des Dogmes de l'eglise Chretienne,1, (Paris. 1958)13 ff; Bauer. W. Orthodoxy and Heresy in Ealiest Christianity, (Philadelphia, 1971) XX1-XX11.

[9] محمد عبد الفتاح، المنهجية التاريخية فى رصد دخول وانتشار المسيحية المبكرة فى مصر، مجلة المجلس الأعلي للثقافة (لجنة الأثار) ٢٠٠٦

Girggs. Early Egyptian Christianity from its Origins to 451.C.E, (Leiden, 1993) 48-49.

التاريخية لتطور العقيدة المصرية عبر عصورها، تلك المرحلة عرفت باسم (الغنوسية – المسيحية في مصر).

وتعد الغنوسية من المذاهب العقلانية التى تسعي للوصول إلى المذهب الروحاني عن طريق المعرفة، فهى تهتم بالأفعال الإنسانية وإحاطتها بالأسئلة الأساسية عن الوجود وهدفه ومصيره – وما هو المصير النهائي للكائن البشري؟، وهل قياس المصير بشري أم روحى؟- وبالتالي فإن تلك الأسئلة قد تندرج بدون شك فى محاولة اقتحام الفكر الفلسفي للإطار الديني المنتشر آنذاك، كما أن الأجوبة كانت تحتاج دون شك لقدرة معرفية على أعلي مستوي يميل أصحابها إلى التخمين والتحليل والإيحاء، وهو النموذج المثالي فى الفكر الغنوسي الذي أسهم كثيرا فى انتشار العقيدة المسيحية فى مصر خلال القرن الثاني الميلادي فى إطار عالم من التقاليد الروحانية الدينية والغموض الأسطوري والأفكار السرية التى غلفت أمر القضية بأكملها بغلاف من التشوق والمعرفة والاقتناع النابع من استغلال أمية المصريين وشغفهم بالأمور الغامضة والفكر الأسطوري.

على أية حال، فقد يبدو الاعتقاد السائد والذي أؤيده بصورة محدودة أنه لكي نفهم الأطر الغنوسية وأهدفها وضرورة وجودها فى هذا العصر فلا بد من العبور إليها عن طريق الرؤية الفلسفية أولا، فإن البعد الفلسفي فى إدراك الوجود والبحث فيه بصفة عامة قد يستلزم قدرة على المعرفة والتحصيل ثم الاقتناع الذاتي والإيمان بالفكرة، ثم التدرج فى التفكير لمستوي الأبداع النصي وتحويل الفكرة إلى نص ورؤية تحمل عناصر أساسية من التدرج الإفتراضي للتخيل ثم الإيحاء ثم اسقاطه على الواقع حتى يدركه العامة، وهى مرحلة الإفتراضات التفسيرية التى تتعامل مع ثقافة العصر المحيط بصاحب الرؤية والمؤثرة فيه، وفى نفس الوقت يجب ان يكون مسيطرا على أبعادها تماما. من هنا خرجت الأفكار الغنوسية التى تجسدها لنا مجموعة كبيرة من المصادر المسيحية المبكرة التى تؤيدها أو ترفضها أو تقف موقفا محايدا منها، فضلا عن الأصول التى عثر عليها فى نجع حمادي عام ١٩٤٥م والتى أسهمت كثيرا فى إعادة البحث عن تاريخ تطور العقيدة المسيحية فى مصر مرة أخري.

المصادر الروحانية فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر

توفرت لدينا مجموعة متنوعة من المصادر التاريخية والدينية التى تؤكد على وجود الممارسة الروحانية فى مصر تقريبا منذ بداية القرن الثاني الميلادي، وهى مقسمة إلى:

أولا: كتابات المؤرخين والمدافعين عن المسيحية المبكرة

١. من خلال مناقشة المنهج الأسطوري والروحاني فى كتابات المدافعين عن المسيحية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين من خلال وصف سيرة السيد المسيح وتقديمها لمتلقي الإمبراطورية الرومانية وللثقافة الوثنية. ومن أهم تلك الكتابات: الأوصاف الروحانية فى كتاب الرسول برنابا Barnabas[10]، وصف المسيح عند بيباس Papias، كتابات الأسقف الروماني كليمنت، كتابات المؤرخ تاتيان Tatian، اشارات عن وصف المسيح عند اريانوس Irenaeus ، وصف المسيح فى أعمال الرسل، كتابات الشهيد جستين Justin Martyr ، وغيرهم.

٢. أيضا توفرت لدينا المصادر الكنسية التى تحدثت عن بصور سلبية رافضة للممارسات الروحانية للطوائف الغنوسية فى مصر خلال الفترة ما بين منتصف القرن الثاني الميلادي حتى منتصف القرن الخامس منهم: كليمنت السكندري Clement, وإريانوس Irenaeus. ترتليانوس، Tertullian, يوسابيوس القيصري Eusebius ، إيفانس Eusebius ، جيروم Jerome.[11]

الكاتب	المادة العلمية	التاريخ
'Barnabas'	"Epistle of Barnabas"	95 - 125
Clement of Rome	"To the Corinthians"	96
Ignatius of Antioch	Various letters	108
Polycarp of Smyrna	"Epistle of Polycarp to the Philippians	110 - 140
Papias	Fragments in Irenaeus and Eusebius	110 - 130
Justin Martyr	Various letters	150s
Lucian	"On the death of Peregrinus"	160s
Theophilus of Antioch	"To Autolycus"	180

[10] Doherty, Earl. The Jesus Puzzle: Did Christianity begin with a mythical Christ, (Canadian Humanist Publications, 1999).208-210

[11] راجع، محمد عبد الفتاح، المصريون والمسيحية حتى الفتح العربي، الإسكندرية (طبعة ٢٠٠١) ٤٥- ٥٤

Minucius Felix	"Octavius"	160 - 250
Irenaeus	Adversus Haereses Against Heresies	130 -202
Clement of Alexandria	Protrepticus - Paedagogus - Stromata	155 - 216
Tertullianus,	Apologeticus Apologeticum	155 -230
Hippolytus	Refutation of All Heresies	235
Eusebius of Caesarea	Ecclesiastical History	314 -340
Jerome	Vita Pauli monachi, Martyroiogium Hieronymianum, De viris illustribus	347 - 420

ثانيا: المحتوي الروحاني في نصوص الايحاء المقدس

بعد هذا المحتوي من أهم المصادر النصية التى تعاملت مباشرة مع المفاهيم الروحانية دون مزايدة أو تمهيد، وهو ما يعرف بنصوص الإيحاء (ابوكاليبسيس The Apocalypse، Ἀποκάλυψις)[12] وهى مجموعة من النصوص الإيحائية والتى

---

[12] كلمة إيحاء من أصل يوناني ποκαλυψις تعني كشف، أول من استخدم تلك الكلمة هو فريدريك لوقا G. C. Friedrich Lücke وهو عالم لاهوتي مسيحي استخدم الكلمة فى تفسير رؤيا يوحنا عام ١٨٣٢ من الكلمات الافتتاحية للرؤيا والتى تشير إلى apocalpyse (نبوءة) السيد المسيح التى أعطاها ليوحنا والتى تقول:Ἀποκάλυψις Ἰησοῦ Χριστοῦ ' ، وقد أطلق على العمل ككل لقب Αποκαλυψις Ιωαννου. ولكن بعد ذلك استخدم المصطلح للتعبير عن بعض الكتابات الدينية النبوية أو التى تتحدث بإيحاء لاهوتي عن مستقبل البشرية ونهاية العالم مثل إيحاء باروخ واسدارس ودانيال وحزقيال ورؤية يوحنا، وغيرها من النصوص التى ترتبط بمفاهيم الاتصال الإنساني-الإلهي. فى نفس الوقت صار المصطلح مصنفا باسم الأدبِ الإيحائي (الأدبِ اليهودي والمسيحي المبكّر) الذي يعبر عن مضمون الأشياء الخفية والأسرار التى أعطاها الرب لبعض الأنبياء والرجال الصالحين. حول أطر التعريف باستفاضة راجع: محمد عبد الفتاح، نصوص الإيحاء اللاهوتية فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر (مدخل للتعريف)، مجلة المجمع العلمي المصري، (٢٠٠٦)

Collins, John J., 'The Place of Apocalypticism in the Religion of Israel', (in, Patrick D. Miller, Ancient Israelite Religion, Essays in Honor of Frank Moore Cross, Fortress, Philadelphia 1987) 539-558; Collins, John J., 'The Genre Apocalypse in Hellenistic Judaism', (in, D. Hellholm, Apocalypticism in the Mediterranean World and the Near East, Tuebingen 1989)

يمكن تعريفها بانها أحدي الوسائل الخاصة للتعامل مع الأمور السماوية الغيبية عن الفكر الإنساني، كما يعد النص الإيحائي وسيلة روحانية لتبسيط الأمور المعقدة فى الفكر اللاهوتي على العامة، فيمكن من خلال الأيحاء استخدام أمثلة سهلة للوصول لفكر العامة للإيحاء عن موضوع ديني أو فكرة فلسفية معقدة. وفى ذات الوقت يمكن للإيحاء ان يسير نحو العكس تماما، فيمكن له أضفاء كم من الغموض أو الأسرار الكونية غير المعلومة إلا للعارفين ببواطن الأمور والمعلمين ودرجة الكهنوت وهم بدورهم لا يستغنون عن استخدام هذه المنهجية الأيحائية للحفاظ على درجة خصوصيتهم الدينية على المستوي الشعبي.

هناك عدد غير قليل من تلك النصوص الإيحائية عثر على نماذج لها فى مصر، كما أنه حديثا توصلوا إلى أن بعضها النصوص كتبت خصيصا للتداول الروحاني في مصر خلال الفترة ما بين منتصف القرن الأول وحتى بداية القرن الرابع الميلادي[١٣]، فضلا عن النصوص الإيحائية التى عثر عليها فى نجع حمادي وتنتمي مباشرة للفكر الغنوسي. وتنقسم تلك النصوص إلى نصوص من العهد القديم ونصوص من العهد الجديد:

ايحاء اينوخ النص يرجح أصوله إلى القرن الثاني الميلادي. هناك بردي يونانية عثر عليه في أخميم ترجع إلى القرن الرابع الميلادي
ايحاء ليفي (من نص وصايا الآباء الإثنا عشر) عثر على أجزاء منها فى الجيزة وترجع إلى نهاية القرن الرابع.
ايحاء إليجه من الكتب المزورة اليهودية – المسيحية، وقد عثر عليه فى صورتين بالقبطية من أخميم ومؤرخ بنهاية القرن الرابع الميلادي، باليونانية ترجع إلى القرن الثالث الميلادي، ويعتقد أنها أجزاء من أصول النص القبطي.
ايحاء آدم الغنوسي جزء من مخطوطات مكتبة نجع حمادي الغنوسية، الانجيل الخامس ومؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

531-548; DeSilva, D.A., "Honor Discourse and the Rhetorical Strategy of the Apocalypse of John", (JSNT= Journal for the Study of the New Testament 71 1998) 79-110; Lawrence, D. H., Apocalypse (Penguin Books, 1976)103; Massyngberde Ford, J., "The Christological Function of the Hymns in the Apocalypse of John", (Andrews University Seminary Studies 36 1998) 207-229.

[13] محمد عبد الفتاح، نصوص الإيحاء اللاهوتية فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر (مدخل للتعريف)، مجلة المجمع العلمي المصري، (٢٠٠٦)

ايحاء ابراهيم. لدينا ترجمة قبطية متأخرة (من القرن الثامن تقريبا) ايحاء صفنيا أحد أنبياء اليهود باللغة القبطية من أخميم ويرجع إلى القرن الرابع الميلادي.
ايحاء يوحنا (رؤية يوحنا – سفر الرؤيا)
رؤية يوحنا الغنوسية وهى نسخة قبطية معدلة عن النص الأصلي باليونانية والذي أشار إليه اريانوس فى القرن الثاني الميلادي. المخطوطات مؤرخة بنهاية القرن الرابع الميلادي ويعرف (بأبوكرافيا يوحنا)
ايحاء بطرس الذي يصنف ضمن الكتب المسيحية المزورة عثر عليه فى مخطوط أخميم مؤرخ تقريبا بالنصف الثاني من القرن الرابع ، وآخر عثر عليه ضمن الأناجيل الغنوسية NH (Nag Hammadi) مؤرخ بنهاية القرن الرابع الميلادي
ايحاء يعقوب الأول والثاني الغنوسي باللغة القبطية NH ومؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع.
ايحاء بولس الغنوسي NH باللغة القبطية ويرجع إلى نهاية القرن الرابع الميلادي.

وتبدو طبيعة تلك النصوص أنها حاولت تعميق الفكر الروحاني فى مصر وهو جانب مهم فى تفسير غموض العقيدة المسيحية الجديدة ولا سيما فى تفسير حالة الأتصال الإنساني – الإلهي المرتبطة بحالة ولادة المسيح أو صعوده أو قيامته، وبالتالي كان يجب وجود فكر يواكب هذا ويروج له، لذلك جاءت النصوص الإيحائية تحمل انطباعا أدبيا ودينيا مهما فى العهدين القديم والجديد، فهي نصوص يحدد طبيعتها النصية مفهوم الوحى الإلهي، أو طبقا للمفهوم السائد فى نصوص العهد الجديد (موحي من يسوع الرب) Ἀποκάλυψις Ἰησοῦ Χριστοῦ[١٤] وبالتالي جاءت مفردات النص الإيحائي غير قابله لأدراك الفكر الإنساني مباشرة، ولا تحمل رؤي واقعية، بل أعتمدت على الفكر الرمزي والعناصر الروحانية والفكر الأسطوري لتحقق مستوي إلهي متميز وغير مدرك إلا من خلال العارفين به والمؤمنين بأفكاره. تلك كانت السمة الأدبية المتميزه فى تلك الفترة المحصورة ما بين منتصف القرن الثاني الميلادي وحتى نهاية القرن الرابع الميلادي مصر، وقد لاقت النصوص الإيحائية قبولا كبيرا فى ظل

14 Ehrman, Bart D. "Jesus, the Apocalyptic Prophet," (in The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings. New York: Oxford University Press, 1997) 203–232

انتشار الأمية وانتشار وسائل المعرفة الروحانية المحلية التقليدية المرتبطة بها آنذاك مثل السحر والشعوذة والنبوءة وغيرها من الأعمال التى تندرج تحت مسمي الثقافات الشعبية المحلية. ولكن من خلال متابعة التطور التاريخي والأدبي للنص الايحائي نلاحظ أنه استخدم فى تحديد مجموعة من التفسيرات والوظائف اللاهوتية المرتبطة بأمور تفسير العقيدة التوراتية أو الأنجيلية.

من خلال ما سبق نجد أن الفكر الروحانى فى مصر خلال العصر الروماني المتأخر أو فيما يعرف بالعصر القديم المتأخر فى مصر، قد خضع لقواعد فكرية منتظمة ومتطورة عبر فترة زمنية محدد منذ بداية أنتشار المسيحية فى مصر داخل عباءة الفكر الفلسفي الذي عرف فيما بعد بالغنوسية، مرورا بالتطور الحادث من الرؤية التنظيرية عند الرسل والقادة الغنوسيين والمعلميين الأوائل إلى الرؤية التطبيقية وممارسة الأعمال الروحانية والتقشف والزهد وتقنين الرهبنة الحرة ثم الرهبنة الجماعية، وغلف كل هذا أطار نصي مبتكر من نصوص الإيحاء التوراتية أو الإنجيلية أو الغنوسية تدعم قبول العناصر الروحانية والتفكير فيها ومناقشة أبعادها وتفسيرتها حتى على نطاق مستوي ثقافة العامة.

ثالثا: الكتابات الغنوسية الروحانية (نجع حمادي)

يبدو ان الهدف الأساسي من مناقشة الأفكار الغنوسية فى هذه الدراسة هو اعتمادها الاساسي وصلب تكوينها على مفهوم العنصر الروحاني (أسرار التعين اللإلهي للمعلم). كما يبدو أن فكر الإيحاء الروحاني أصل ثابت فى الهيكل الأساسي للفكر الغنوسي من خلال البحث عن الوجود وأسرار الخلق والهبوط إلى الأرض، والتحول من الحالة الروحية إلى الإنسانية البشرية، ثم دور هذا المخلوق المتحول فى الأرض حتى يسعي للعودة إلى أصل تحوله إلى روح مرة أخري. هذا السيناريو جسده لهم رحلة السيد المسيح إلى الأرض من الكلمة أو الأمر الإلهي فى صياغة الروح القدس الذي تحول إلى بشر بجسد أثير (تضحية من الروح – المسيح – أن يأخذ جسد الذنوب والعقاب حتى يأتي إلى البشر كمنقذ ومعلم) من رحم العذراء ويعيش بشرا بين البشر، ثم يصعد كروح أصيلة بعد أن ترك جسده معلقا فى مصيره المحتوم فوق الصليب معذب ومهان كنتيجة طبيعية للأجساد بعد الموت، وهو الفناء الجسدي الذي تطور لدي الفكر الغنوسي لمرحلة احتقار الجسد والسمو والرفعة عليه والزهد فى الأهتمام به.[١٥] وبالتالي فإن تلك القصة تحتاج لمساحة كبيرة من التصور والتخيل

---

15 حول العناصر السرية فى العقيدة الغنوسية نجد بالنسبة للممارسات السرية والطقسية روحانية الطابع، فقد كانت من أهم عناصر الشق التطبيقي للعقيدة الغنوسية والقائمة على الغموض والخفاء، ليس خوفا من الاضطهاد أو من الحكومية الرومانية، بل نجد تعريف لها عند (ايريانوس) نقلا عنهم: "*وحيث أن الابن غير معروف للجميع، فكذلك هم (الغنوسيون) لا يجب أن يعرفهم أحد، وحيث أنهم يعرفون كل شئ وتخطوا كل شئ فإنهم يبقون غير مرئيين وغير معروفين للجميع، ويجب عليهم ألا*

والرمزية والتمثيل، وهى عناصر أساسية فى تعين عناصر روحانية فى النص الايحائي. وبالتالي ظهرت هنا الممارسات الروحانية التى تعتمد على قواعد الفكر مثل الزهد والعزوف الدينيوي والرهبنة الفردية، والألتزام بقاعدة المعرفة وأتباع المعلميين الذين حملوا الراية من المسيح بمجموعة الإيحاءات التى أنفردوا بها. لذلك فإذا بحثت فى نصوص الأناجيل الغنوسية المتعددة واقوالهم تجد سمة روحانية تنبعث من فحوي النص تحتاج دائما إلي تفسير غير مألوف يبحث فيما وراء النص من قيم وفضائل ومقاصد غير مباشرة، وهو المنطق الذي يجعلنا نصنف أغلب أعمال الفكر الغنوسي تصنيفا روحانيا بجانب النصوص الغنوسية التى عنونت اصلا بإيحاء، مثل، إيحاء يوحنا ،وإيحاء أدم وحواء، أيحاء يعقوب الأول والثاني، إيحاء بطرس، وإيحاء بولس.[١٦] ولكن هناك أعمالا قد نجدها تحمل إيحاءات تجسد لنا الثقافة الروحانية الغنوسية فى تلك الفترة المبكرة من تطور أمر العقيدة المسيحية فى مصر. من أهم المصادر الغنوسية الايحائية:

المصادر الغنوسية الروحانية
Treatise on the Resurrection [١٧] (إطروحة على الإحياء) وهو من النصوص التعليمية للفكر الغنوسي والمنتسبة لأقوال المعلم الغنوسي فالنتينيوس، والنص عبارة عن مجموعة من النصائح لتلميذه ريجينوس مما دعي لتسمية المخطوط (برسالة لريجينوس). عثر على المخطوط فى ثمانية ورقات، النص مكتوب باللغة القبطية مؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع، ربما عن أصل يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

يعلنوا عن غموضهم (إسرارهم) إعلانا، ولكن يجب أن يحفظوها فى هدوء". هذا الشق التطبيقي ومفهوم الهدوء المطلوب فى ممارسة العقيدة للحفاظ على أسرارها واكبه خروج وانعزال مطلوب فردى أو جماعي فى الصحراء أو على أطراف المدن بحثاً عن الروحانيات التى مثلت جزءاً مهماً من عقيدتهم خلال الفترة ما بين منتصف القرن الثاني وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي.راجع:
Irenaeus. (Ad. Haer.) 1.24.6; Scott. M.P.D., Paganism and Christianity in Egypt. (Cambridge. 1913) 149ff; Stead. G. C., In Search of Valentinus, Rediscovery of Gnosticism, vol. I. The School of Valentinus. (Leiden. 1980) 75-102.

16 محمد عبد الفتاح السيد، نصوص الإيحاء اللاهوتية فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر (مدخل للتعريف)، (مجلة المجمع العلمي المصري، ٢٠٠٦)

17 NHS XXII Treat. Res. 45.30-33, 45.36-39; Irenaeus, (Against Heresies, Adv. Haer.) 3.19.1; Elaine H. Pagels, "The Mystery of the Resurrection: A Gnostic Reading of 1 Corinthians 15," (Journal of Biblical Literature 93, no. June 1974) 287; Thomassen, Einar. "The Valentinianism of the Valentinian Exposition NHC XI, 2." (Le Muséon 102 1989) 225-36.

انجيل الحقيقة[18] The Gospel of Truth الذي يعد أحد أفضل النصوص الغنوسية الروحانية التى تجسد قواعد الممارسة الروحانية في مجموعة نجع حمّادي.
(مخطوط صوفيا يسوع المسيح)[١٩] The Sophia of Jesus Christ هو أحد النصوص الغنوسية التى تحمل سمة ايحائية متميزة، تبرر وتفسر مولد وقيامة المسيح وحالة التجسد الإلهي على الأرض، النص كان معروفا من قبل فى صورته اليونانية من خلال بردية (P. Oxy. 1081)التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي.
انجيل توماس[٢٠] The Gospel of Thomas الغنوسي ويحتوي على وصف لطبيعة انتقال الريادة والإيحاء الروحاني من المسيح للتلاميذ ثم المعلمين الغنوسين.
انجيل يهوذا [21] The Gospel of Judas يتعامل مع تقبل الشر لأنه جزء من النفس البشرية، ثم بواسطة المعرفة الحق يمكن ترويضه والتغلب عليه، من خلال وصف روحاني لقصة الشر عند قابيل، ويهوذا وكيف مارس الشيطان معهم أمورا جعلتهما يندما عليها.
(نص التراكتات الثلاثة)[٢٢] The Tripartite Tractate وهو من الأعمال الغامضة فى النصوص الغنوسية والتى تعتمد على التعاملات الروحانية والتى كانت تفسر من قبل على أنها من أعمال السحر والشعوذة الخاصة بهؤلاء الغنوسيين الأوائل. والعمل في الحقيقة كان بدون عنوان، ولكن حدود تقسيمه ثلاثة أقسام مما أدي إلى تسميته (تراكتاتوس

18 Michel Desjardins, The Sources for Valentinian Gnosticism: A Question of Methodology, (Vigiliae Christianae, Vol. 40, No. 4 Dec., 1986) 342-347.

19 P. Oxy. 08 1081; Schlarb, E. Lührmann D., Fragmente apokryph gewordener Evangelien, (Marburg 2000) 96-101; Edwards, M. J., "Neglected Texts in the Study of Gnosticism." (JTS 41 1990) 26-50; Fallon, Francis T. "The Gnostics: The Undominated Race." (Novum Testamentum 21 1979) 271-88.

20 Johnson, Luke Timothy. The Writings of the New Testament: An Interpretation. (Philadelphia: Fortress, 1986). 530-548

21 The Gospel of Judas. Trans. and Eds. Rodolphe Kasser, Marvin Meyer, and Gregor Wurst. (Washington, D.C.: National Geographic Society, 2006) 8 ff.

22 Green, H. A. "Ritual in Valentinian Gnosticism: A Sociological Interpretation." (Journal of Religious History 12 1982)109-24; Robinson, M., "The Jung Codex: The Rise and fall of a Monopoly" (RelSRev= Religious Studies Review 3 1977)17-30; Attridge, Harold W., ed. Nag Hammadi Codex I The Jung Codex. (Nag Hammadi Studies, 2 vols.Leiden: Brill, 1985) 22-23.

تريبارتيتوس) وهو مدون باللغة القبطية ومؤرخ تقريبا بنهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي.

(هيبوستاسيس الأرخوني)[٢٣] The Hypostasis of the Archons وهو أيضا من النصوص الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي وهى تجسد مراحل تطوير الفكر الغنوسي المسيحي فى مصر على النمط الإيحائي برؤية تخيلية لمفهوم الخلق والعوالم الكونية فى العالم السماوي، وعلاقة الخالق بالمخلوق وسقوط المخلوق وعذابه.

رابعا: مصادر النقد الفني للعناصر الروحانية

إذا كانت القاعدة الأدبية النصية فى تفسير أعمال السيد المسيح وسيرته الذاتية قد غاصت فى رؤي ميتافيزيقية لأثبات أنفراده فى الحالة الناسوتية وكذلك فى الحالة اللاهوتية، فأن المناخ العام لتلك القاعدة التفسيرية الروحانية قد انتشر فى العالم الروماني، بل , وأصبح ثقافة مجتمع آنذاك يتخللها حالة من الغموض الذي يعتمد على قراءة ماوراء الفكر المباشر، وهو ما نجده فى الفن بصفة عامة آنذاك[٢٤]، فأن العمل الفني يمكن تجريده من أبعاده الأصلية ليتحول إلى فكرة ثم تفسير ثم هدف مقصود توصيله والتأكيد علي وصوله للعامة. لذلك ظهرت فى مطلع القرن الثاني الأفكار الغنوسية لتؤكد هذا المعني فى البحث عن ما وراء الجسد البشري الشهواني، وهى رؤية واكب الفكر ت ظهور الفكر الأفلاطوني الحديث والمعاصر لتلك الأفكار والذي شارك فى تكوين قاعدة روحانية لثقافة العصر المتأخر فى مصر.

يمكن القول بأن آراء أفلوطين Plotinus (٢٠٥-٢٧٥م) من ناحية النقد الفني عموما أو رؤيته للناحية الجمالية فى العمل الفني[٢٥] كانت تميل نحو أعتبار أن

---

23 The Hypostasis of the Archons .(Nag Hammadi Codex II,1989; Bentley Layton trans.), II 86,20-97,23; Goehring, James E. "A Classical Influence on the Gnostic Sophia Myth." (Vigiliae Christianae 35 1981)16-23; Layton, Bentley. "The Hypostasis of the Archons" (Harvard Theological Review 69 1976) 31-101.

24 Pollitt ,J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983)213-216; Elsner, J., Imperial Rome and Christen Triumph, (Oxford History of Art, Oxford, 1998) 1- 8; Elsner, J., Art and the Roman Viewer, The Transformation of Art from the Pagan World to Christianity, (Cambridge, 1995) 30-58; Veyne. P., (ed.), A History of Life: From Pagan Rome To Byzantium, (Cambridge, 1987), 353-382.

25 يعد افلوطين من مثقفي العصر الروماني المتأخر وفلسفته قائمة على استغلال العناصر الروحانية ونمو وتنقية الروح والاقلال من التعبير الجسدي الذي كان يمثل ثقافة الامبراطورية العسكرية المادية فى العصر الروماني المتأخر.

Pollitt ,J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 215-216;

اللوحة تنم عن خيال جامد غير متحرك، وغير متغيير، وهى سمة مرفوضة فى الفكر الفلسفي، وبالتالي فأن الصورة مهما كانت حرفية صانعها أو رداءته فأنها صامته لا تعبر عن الجمال الأنتقالي المتغيير الذي يدركه العقل ويتجول به ليصل إلى ما يسمي بالبصيرة الروحانية التى تعد أفضل من الرؤية الجمالية فى الصورة. وبالتالي فأن أفلوطين أدرك اهمية الرؤية التبصيرية الروحية فى الأعمال الفنية وهى قاعدة هامة فى معالجة التفسير الروحاني فى العمل الفني، وعندما حاول الرسام الروماني أميليوس أن يرسم صورة شخصية لأفلوطين الذي رفض وعبر عن رفضه بقوله(أنه من العار أن يكون جسده مادة لأي رسام أو نحات، يمكن من خلاله أن يخلد هذا الجسد للأبد دون روحه التى يعتبرها هى الأصل) (بل من الكافي فقط حمل تلك الصورة التى وجدنا عليها فى الطبيعة دون صنع نسخ أخري منها تجعل هذه الصورة تدووم من صورة إلى صورة، فهل هناك واحدة من تلك الصورة تستحق أن يراها الناس)[٢٦] وبالتالي فأن الاقلال من التعبير الجسدي والاهتمام بالغرائز الروحانية والعقلية مفهوم عام ومتفق عليه فى الفكرين الغنوسي والافلاطوني، بل واصبح مقبول لدي مثقفي العالم الروماني مع نهاية القرن الثاني الميلادي تقريبا وبصفة خاصة مثقفي الفلسفة الدينية أو القائمون على الدفاع عن المسيحية[٢٧].

من بين هؤلاء المثقفين الذين تعاملوا مع تحويل التفسير الفني أو الأثري (لتعاملهم مع الفنون القديمة عليهم) كان الفيلسوف (أبوللونيوس) من تيانا Apollonios of Tyana الذي عاش تقريبا فى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي[٢٨]. وكذلك الفيلسوف والمؤرخ الفني (فيلوستراتوس) Philostratos، وهو من مفكري روما فى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث[٢٩]، بينما كان تلميذه (كاللستراتوس) Callistratos من فلاسفة ومثقفي روما فى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي[٣٠]. وتعتمد رؤيتهم على قدرة التفسير الروحاني أو رؤية ما وراء العمل من سمة روحية أسطورية تجذب عقول العامة وتوجههم وبصفة خاصة من خلال كافة الأعمال الفنية الكلاسيكية ذات الطابع المثالي وإعادة تحليلها وتقييمها من جديد، وذلك من خلال طابع روحاني يخدم متغيرات الفكر الاجتماعي والديني الجديد، والمعني

---

26 Porphyry: On the Life of Plotinus, 1; Pollitt, J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 215-216.

27 حول التاثيرات الغنوسية الافلاطونية Neoplatonism and Gnosticism راجع
Filoramo, A History of Gnosticism. (Blackwell. Giovanni 1990). 142-7

28 Philostratus, the Life of Apollonius of Tyana, the Epistles of Apollonius, (2 vols. LCL. Cambridge, 1912) I-XI

29 Pollitt ,J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 218-219

30 Pollitt, J. J., The Art of Rome 226-227.

المقصود هنا أن رواد هذه الحركة النقدية فى القرنين الثالث والرابع قد وضعوا قاعدة مهمة فى تفسير الأعمال الأثرية القديمة، تعتمد على قدرة المشاهد والمتذوق المؤمن بالعمل الفني بحيث تتلاشى أمامه الناحية الجمالية وقوة المادة المصنوع منها العمل، ويفقد العمل الفني حواسه الخارجية، وينظر إليه برؤية موضوعية متعمقة وبقدر من الفلسفة الإيمانية، ومن هنا يتحول العمل الفني إلى عمل مجرد من الزمان والمكان، خاص بالمشاهد وحده، والذي بقدرته الثقافية والإيمانية يصبح قادرا على تقييمه وتحليله مهما كانت عناصره أسطورية أو وثنية الطابع[٣١].

ثانيا: إشكالية العناصر الروحانية فى الفن المسيحي

وقد يبدو أن التقييم المنهجي لأدراك العناصر الروحانية فى الفن المصري المرتبط بأنتشار المسيحية، قد يعتمد على ادراك شامل للمتغيرات المحيطة بهذ الفن وليد عصره، وهى أمور تعتمد على وجود حيادية فى تفسير الأبعاد الحضارية التى لازمت دخول وانتشار واستقرار المسيحية فى مصر. لذلك يجب علينا فى سبيل محاولتنا لادراك القيم الروحانية فى الفن أن نتجرد من سطحية التفسير، وأن ندرك الأبعاد المختلفة حول العمل الفنى بتعمق وشمولية متخصصة فى أغلب الاحيان، وبالتالي فأن قراءت القيم الروحانية قد تحتاج لقاعدة تدرك أن الفن المصري فى تلك الفترة فنا مرتبطا بمتغيرات العصر وثقافته، فهو مرتبط بالتطور التاريخي للعقيدة المسيحية فى مصر، وهو التطور الذي أسهم فى صنع المادة الخام التى خرجت منها موضوعات الفن المسيحي فى مصر المعقدة فى بعض الاحيان، والتى تحمل بين جوانبها العديد من الأسرار والألغاز الروحانية، والتى كانت دائما فى حاجة إلى تفسيرات شفهية من قبل المعلمين.

١. القاعدة فى أعمال السيد المسيح

إذا أعتبارنا أن أعمال السيد المسيح المدونة فى الأناجيل والتى تتسم بالطابع الروحاني أو ما يعرف بمعجزات المسيح المعترف بها هى القاعدة الأولي فى محاولة فهم حدود الأنتقال والتفسير الروحاني فى الموضوعات المسيحية المستخدمة فنيا، فاننا يجب مناقشة بعض تلك المعجزات التى صورت فى مصر خلال العصر القديم المتأخر، ونحاول تقييم القاعدة التفسيرية التى أسهمت فى الانتقال بالموضوع الفني من الحالة الواقعية التى ترسمها اللوحة إلى حالة تفقد فيها اللوحة والموضوع زمنه ومكانه الإصلي.

---

[31] محمد عبد الفتاح السيد، الرؤية الموضوعية فى نقد الفن الكلاسيكي فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين،(مجلة الآثارين العرب، العدد الرابع، القاهرة، ٢٠٠١) ٤٤٧-٤٥٥

صنف أغلب المفسرين معجزات المسيح[٣٢] إلى تصنيفات متعددة ولكن أقرب تصنيف مواكب للأعمال الفنية كان ينقسم إلى: معجزات العلاج والشفاء، معجزات التغلب على الشيطان، معجزات التغلب على الطبيعة المادية، ومعجزات التغلب على الموت. ولكن البعض أعتبر أن هناك رؤية شخصية فى بعض المعجزات ترتبط بحالة فردية مثل العلاج والتغلب على الشيطان والتغلب على الموت، ولكن نلاحظ أن أغلب المعجزات التى صورت فنيا كانت المرتبطة بعنصري معجزات التغلب على الطبيعة وعلى الموت. الأولي تعتمد على عناصر مادية تعامل معها المسيح برؤية روحانية، والثانية قد تبدو روحانية تتعامل مع جسد مادي فتغير من حالته. لذلك نحاول تفسير البعد الروحاني فى كلتهما من أجل توضيح أهمية التفسير الروحاني المواكب للحدث أو للصورة.

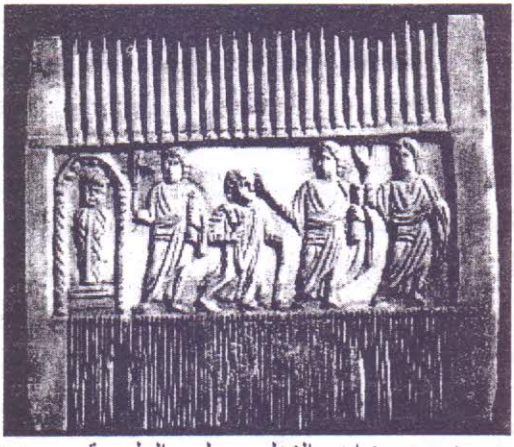

مشط من العاج عثر عليه فى دير أبي حنس قرب انتينوي نحت عليه معجزتين من معجزات المسيح، الأول،أقامة لعازر من الموت، والثانية شفاء الاعمي، فى الخلف نحت الفارس القديس تحيط به الملائكة... المتحف القبطي. القرن السادس الميلادي

ضمت معجزات التغلب على الطبيعة معجزة الخبز المبارك، ومعجزة تحويل الماء إلى نبيذ فى عرس قانا، وهما المعجزتان اللتان سوف يصبحان أسس الطقوس السرية المعرفة بالافخارستيا εὐχαριστία (صلاة الشكر) فى الكنيسة فيما بعد[٣٣]. وقد صورت المعجزتان فى مقبرة كرموز المسيحية (المختفي أثارها حاليا) وترجع إلى نهاية القرن الرابع[٣٤] وكذلك فى مغارة القديس أبي يحنس فى الشيخ عبادة التى ترجع

32 William L. C., The Problem of Miracles: A Historical and Philosophical Perspective." (In Gospel Perspectives VI, Sheffield, 1986) 9-40; Meeks, W. A. "Messianism among Jews and Christians: Twelve Biblical and Historical Studies". (Jewish Quarterly Review 95, 2, 2005) 336-340

33 Bowersock, G. W. Fiction as History: Nero to Julian. (University of California Press, 1994), 125-128

34 Neroutsos, D., L'Ancienne Alexandrie, (Paris, 1888), 41-54.

إلى نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي[٣٥]. ولكننا سوف نترك البعد الوصفي للوحات الجدارية المصورة والتى تعبر عن أحداث واقعية وصفية للمعجزة، ويبدو ان أمر اللوحة من حيث التقنية الفنية مجرد وسيلة تذكارية بأمر المعجزة، ولكن الامر الأهم هو الوصف الروحاني الذي أتسم بأمر صور المعجزتين، فى العلاقة بين مسألة تحويل الماء إلى نبيذ، ومعجزة الخبز المبارك، أن كلاهما فى المفهوم الأرثذوكسي يعبران عن مفهوم الجسد ودمائه، وهى بالفعل لغة اخرى قد تخرج بنا بعيدا عن التفسير الأثري العادي، فإذا عبرنا عن خاصية التحويل من الماء إلى النبيذ المقدس الذي يحمل مدلولا جنائزيا فى الأساطير الديونيسية اليونانية، والذي يسهم فى التحول الروحي للجسد فى العالم الآخر، فإن الماء هنا يشير إلى صفة الجسد التى سوف يتحول إلى روح مقدسة بسبب أسكار الجسد بالنبيذ المقدس[٣٦]. ويري البعض أن الطبيعة البشرية سوف تتحول إلى نبيذ يعني الروح، ولكن هذا التحول يعني البحث عن نوعية النبيذ المراد أدراكه وهو نموذج للمعرفة الشخصية التى تبحث عن التخلص الذاتي ونقاء روحها[٣٧].

هذا التحول بفعل النبيذ من خلال تلك المعجزة واكب انتشار صور ومخصصات الرؤية الديونيسية اليونانية والمرتبطة بالإله ديونيسوس ورفاقة الميادرا والساتير فى الفن المسيحي[٣٨] ولا سيما فى مصر فى المدن ذات الثقافة اليونانية، فعلي سبيل المثال لدينا نماذج نحيتة ونسيجية من أهناسيا وبانوبوليس وأنتينوي

---

35 Cledat, J., Deir Abou Hennis, (BIFAO, Tome, II) 44-70; Gertrud J.M. van Loon et Alain Delattre, La frise des saintsde l'église rupestre de Deir Abou Hennis, IN (Eastern Christian Art in its Late Antique and Islamic Context . ECA. 2004), 89 – 112;

36 العنب هو رمز الأضحية فى الأسطورة الديونيسية وهو الوسيلة التى تنقل الراقصين والمتعبدين من حالة الواقع إلى المجون اللاهوتي عند Euripides, Bacchae 1-54 ، وهو رمز لدم المسيح الذى أراق على الصليب وهو يمثل رمز القربان المقدس. راجع:

Otto, Walter F. Dionysus: Myth and Cult. (Indiana U. Press, 1965). 68,107,168-170; Carpenter, Thomas H. and Christopher A. Faraone., Masks of Dionysos. (Cornell U. Press 1993), 1-4; Bowersock, G. W. Fiction as History: Nero to Julian. (Berkeley: University of California Press, 1994), 125-128.

37 راجع وصف اخيل تاتيوس للطقوس الاحتفالية الديونيسية بحصاد العنب فى Tyre ومفهوم النبيذ المقدس ،كذلك راجع المقارنة بين وصف المعجزة عند الانجيلي متى وبين الأصل الوثني الاسطوري عند اخيل تاتيوس فى محاولة للبحث عن الاصول الوثنية للمناسك المسيحية.

Achill. Tat. Leuc. and Cleit, 2.2.4-6; Morton S., "On the Wine God in Palestine, (American Academy for Jewish Research 1975), 815-29.

38 راجع دراسة حديثة عن الإله ديونيسوس تبرز مجموعة من التفاسير الجديدة حول مفهوم الخمر المقدس، وحالة التحول البشري الروحاني، وكذلك علاقة ديونيسوس بالعالم الآخر.

Seaford R., Dionysos, Gods and Heroes of the Ancient World. (Routledge 2006) 70-75, 76-86, 126-129.

وأوكسيرينخوس[٣٩] تعبر عن مفهوم التحول الروحاني الخفي والمستتر في العمل الفني بالمقارنة بالوصف الفنى أو الأثري، من هنا ارتبطت صور الإله ديونيسوس في العصر المسيحي المبكر بصور السيد المسيح، وذلك لتشابه بعض الخصائص بينهما مثل خاصية الخمر المقدس، والحالة الروحية التي تنقل المؤمن من الكيان الناسوتي إلى الكيان الإلهي والتى تتمثل فى حالة ما بعد شرب الخمر المقدس، هذا فضلا عما يتميز به الإله ديونيسوس عن أغلبية الآلهة اليونانية فى أنه يجمع بين الخصائص اللاهوتية والناسوتية معا، وهو ما جعله أقرب لتفسير شخصية المسيح والتعبير عنه في الفترة المبكرة.

المعجزة الأخري تناولت حالة المباركة للسمكة والخبز المبارك The Loaves and Fishes الذي أطعم حوالي ٥٠٠٠ شخص (عند لوقا ويوحنا) أو ٤٠٠٠ شخص (عند متى ومرقس) مرة واحدة من سمكتين خمسة ارغفة[٤٠]، ثم عقب الأطعام تبقي فضلات تكفي لملأ أثنتا عشرة سلة تعبير عن قوة المباركة، المفهوم الروحاني ركز على قوة الجانب اللاهوتي فى شخص المسيح، وهو أمر مهم فى التعريف به أثناء الصراعات المسيحية اليهودية من جانب والصراع مع الوثنية المسيحية من جانب أخر[٤١]، وبالتالي فأن أمر تنفيذ تلك المعجزة على أرض الواقع يصبح مستحيلا على الرغم من أن مفرادتها قد تختص بالحياة اليومية ومتصلة مباشرة بالفرد العادي، لذلك فأن توضيح مفاهيم القوة الروحانية، والمباركة اللإلهية وصيغة التحويل الأعجازي، فضلا عن المساس بأمر يخص الفرد العادي ويعبر عن أشباع بعد حرمان، جميعها جوانب روحانية أهتم بها التفسير الروحاني للوحة دون أن يكون معبر عنها بالأسلوب الفنى.

ولكن هناك معاني تفسيرية قد تحمل بعض الجوانب السياسية فى العلاقات المسيحية اليهودية المبكرة، فالتفسير الخفي يذهب إلى ان الخبز المبارك جاء من قبل المسيح لاشباع اليهود المحرومين الفقراء الجياع، بينما الفضلات التى ملأت أثنتا عشرة سلة بالنفيات كناية عن القبائل اليهودية الاثني عشر، وبالتالي فإن المعجزة قد تذهب بتفسيرات مختلفة كلما احتاج إليها[٤٢]

وبالتالي فأن المعني الذي نريد أن نحققه أن الطابع الروحاني فى الفن المسيحي المبكر كان مرتبط بتفسير أعمال السيد المسيح لثقافات لم تعرفه أو شاهدت

39 Scott, M. P. D., Paganism and Christianity in Egypt, (Cambridge, 1913), 167 ff. Gayet, L'art Copte, (Paris, 1902) 36 ff, 112-113; Leclercq, DCAL, XI. Colls. 827. Forrer, R., Die Gäber und Texitilfunde Von Achmim (Panoplis), (Vienna, 1981), 12-14.

40 Matthew 14:13–21; Mark 6:31-44; Luke 9:10-17 ; John 6:5-15.

41 Brunori, L. Relational Goods in Society, Mind and Brain: Between Neurons and Happiness, (Group Analysis, 2003 36) 515 - 525.

42 David McCracken, The Scandal of the Gospels: Jesus, Story, and Offense (New York: Oxford University Press, 1994), 132.

معجزاته أو أعمال، ومن ثمة فان حالة الشرح الروحاني كانت خاصية أساسية فى التفسير، ولكنها فى نفس الوقت كان لها أن تعبر عبر المورث الثقافي القديم والذي تمثله لنا هنا الثقافة الديونيسية التى كانت عاملا مشتركا فى الطقوس الجنائزية ومصير البشر فى العالم الأخر فى الثقافة الهيللينستية. وبالتالي يكفي الأشارة إلى موضوع المعجزة أو رمز لديونسيوس أو أحد مخصصاته الشهير كأس الخمر (الكنثاروس) أو ثمر الكروم او عناقيد العنب أو شخص ديونسيوس نفسه، أو الأشارة إلى سمكة أو سمكتين وبعض الأرغفة، جميعها رموز تعبر عن مضمون البعد الروحاني فى العمل الفني والمتصل دائما بالتعريف اللاهوتي للسيد المسيح.[٤٣]

٢. الموروث والتوظيف الروحاني

طبقا لما سبق نجد ان التغيير الروحاني فى التفسير الفني أو الأثري قد توفرت له قاعدة فكرية فلسفية كاملة، كما توفر له تنظير أستراتيجي يجعلك مطالب باتباعه دون مبالغة أو أفراط فى التأثيرات المختلفة، فطبقا لما جاء فى القاعدة فأن الرؤية الفنية لأغلب الموروثات القديمة فى الفن المسيحي آنذاك فأنها من المحتمل أن تخضع للقواعد التفسيرية الروحانية الجديدة، وسوف نقدم هنا رؤية عن بعض الموضوعات الفنية المختارة والتى تنتمي للثقافات الثلاثة السابقة للفكر المسيحي (المصرية واليونانية والتوراتية) والتى عثر عليها فى مصر خلال العصر القديم المتأخر فى الفترة ما بين نهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع، تهدف تلك الرؤية إلى اقتراح تفسير روحاني للعمل الفني يقربه من ثقافة العصر وأن تكون مرجعيته نصية وموضوعية وتاريخية، وسوف تبقي فى النهاية رؤية مقترحة. ويشمل التصنيف المقترح موروثات من الثقافة المصرية واليونانية والتوراتية، وهما المصادر الارشيفية التى اعتمدت عليها الثقافة المسيحية فى مصر خلال العصر القديم المتأخر.

الموضوع الاسطوري	المصدر الأثري	التأريخ المحتمل	التفسير الروحاني المقترح
الراعي الصالح أورفيوس	الاسكندرية	٤م	شخصية القائد المربي والمصلح والمنقذ (راعي الخراف الضالة)
زيوس وجينيميدس	يحتمل الاسكندرية	٤-٥م	صورة من صور التجسد الإلهي على الأرض- حب الرب لاحبابه واحتوائهم وتقربهم لديه
زيوس والبقرة	اهناسيا	٤-٥م	صورة التجسد الإلهي على الأرض أو مرحلة

43 Seaford R., Dionysos, Gods and Heroes of the Ancient World. (Routledge2006) 126-129.

أوروبا			الأتصال الإلهي الإنساني على الأرض
زيوس والبجعة ليديا	اهناسيا	٥م	صورة التجسد الإلهي على الأرض
هرقليس وأسد نيميا	اهناسيا	٥م	هرقليس نموذج للإلهة التى تحمل الصفتين (البشرية والإلهية) وصراعه مع أسد نيميا تجسيد للتغلب على مظاهر الشر فى الأرض بقدومه أو المسيح فى صورته.
مولد أفروديتي	اهناسيا	٥م	الولادة من العدم بالأمر الإلهي (مقارنة بولادة المسيح الإلهية)
خيرات نيلوس	اهناسيا	٥م	تجسيد للخير الذى منحه المسيح بمجيئه إلى الأرض.
حورس الفارس المنقذ	غير معلوم مصدرها (متحف اللوفر)	٤م	(حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص، حورس برأس نسر يرتدى ملابس رومانية الطابع ذات السمة العسكرية المعبرة عن مصدر القوة العسكرية فى تلك الفترة. الرؤية المصرية فى التعبير عن كينونة المسيح.
أم الإله إيزيس والطفل حورس	كرانيس	٣-٤م	حاملة الإله أو الكلمة المقدسة وكذلك إثبات علاقة الأم بالابن الإله من خلال تسابيح (الثيوتوكس) التى ترتل يومياً فى الكنيسة كصور رمزية.
الحوريات والدلفين	اهناسيا	٥م	تجسيد لدور الملائكة فى العهد الجديد، كصور إنسانية تبعث من قبل الرب على المؤمنين. رسل الإيحاء الإلهي
كيوبيد أو أيروس الرسول	اهناسيا- انتينوي- بانوبوليس	٤،٦م	تجسيد لصورة ملائكة الرحمة والسلام والفوز والانتصار بالعالم الآخر.
أبوللو وارتميس والموزاي	غير معلوم	٥م	مفهوم الحماية الإلهية للإبداع الفكر الإلهي (الوحي والإيحاء) الأناجيل

دانيال والأسود	تل أتريب سوهاج البجوات- اهناسيا	٣،٤، ٥م	الطاعة والعناية الإلهية والخلاص وأنقاذ المؤمنين، وخضوع الشر.
خروج موسي	البجوات	٤م	خلاص المؤمنين، شخصية القائد والمعلم، طاعة المؤمنين لقائدهم والثقة فى خلاصهم بواسطته. هلاك الأشرار، معجزة الانقاذ فى عبور البحر، العبور بالإيمان إلى الأرض الجديدة.
أضحية أسحاق	البجوات- سقارة- سانت كاترين	٤،٦، ٧م	الطاعة الكاملة للأمر الإلهي، الأمر الإلهي، علاقة الابن المطيع بالأب القائد الموحي إليه، الثقة فى الأمر الإلهي، والثقة فى الأنقاذ والخلاص الإلهي.
خروج أدم وحواء	مقابر البجوات- أم البريجات	١٠،٤ م	مفهوم الخطيئة، عقاب الخطيئة، التعرف على شهوانية النفس البشرية، خطورة مفهوم الخروج من العناية الإلهية، التوبة، والعمل على العودة مرة أخري للمقر الطبيعي للروح فى الجنة.
فلك نوح	البجوات	٤م	مفهوم الوحدة فى العقيدة، الثقة فى شخصية القائد، خلاص المؤمنين، الفلك أو الكنيسة وسيلة الخلاص للمؤمن، المشاركة الجماعية، العناية الإلهية.
يونان والحوت	البجوات- انتينوي	٤،٥م	عقاب عدم الثقة فى الأمر الإلهي، التوبة والاستغفار من الخطيئة، العقاب الوقتي، الصبر على البلاء، الثقة فى الخلاص الإلهي، ثم الخلاص والتمتع به.
صراع داود وجوليت	باويط	٦-٧م	صراع الخير والشر، المنحة الإلهية لداود، دور القائد وتضحيته من أجل العقيدة (مقارنة مع تضحية المسيح)

تعد تلك الأمثلة مجرد محاولة لتوضيح أهمية البعد الروحاني فى العمل الفني، ولكننا لا نستطيع الجزم بأن تلك التفسيرات كانت بالفعل محل تفسير أو شرح بصفة دائمة، ولكنها كانت مجرد وسيلة تذكارية يحتاج إليها كلما أمكن، فلا يمكن تسجيل

المحاورات والمناقشات التى كانت تدور مثلا في غرفة الطعام فى كنسية الأنبا أرميا بسقارة (القرنين الخامس والسادس الميلاديين)[٤٤] وهل كانت تتعرض لشرح لوحة الفريسك الجدارية التى تعلو جدران الحجرة وعليها موضوع أضحية أبراهيم بابنه اسحاق، بالفعل فأن المنظر قد يعطي أنطابعا روحانيا للرهبان الجالسين يوميا فى الغرفة بالطاعة الكاملة أو العمياء دون مناقشة للأوامر الإلهية، ولكن من ناحية أخري فأن موضوع التضحية باسحاق قد يأخذ أبعاد أخري تبحث فيما وراء العمل من حكمة خفية تجمع بين صفات متعددة منها قوة إيمان أبراهيم، استسلام أسحاق للأمر الإلهي، الأحساس الرمزي المتواري فى اللقطة التصويرية (الموت – الفداء- الخلاص)، كما أنها رؤية سابقة للتضحية الكاملة لصلب المسيح فى الفداء الكبير من أجل العقيدة. وبالتالي يستطيع المفسر أو الراهب أو المعلم ومن خلال هذه الصورة أن يكتسب معني كثيرة لتفسير تلك اللقطة الصامتة، ولكنه لابد أن يمتلك مقومات معرفتية روحانية تجعله قادر على التنقل بين المعاني والحكم الخفية فى الموضوع وأسقاطها على أرض الواقع وعقول المتلقين.

قد تبدو اللقطة التصويرية هامة في تحديد الشكل العام للعمل الفنى،حيث يمكن إدراك نفس القاعدة فى صورة فلك النبي نوح الذي يجسد مفهوم الخلاص الأول للمؤمنين، حيث ألتزم تفسير وشرح القصة القديمة فى حدود الأيمان والطاعة للنبي المرسل أو المعلم، كما اعتبرت السفينة بمثابة الكنسية التي تحمي المؤمنين فى الثقافة القبطية[٤٥]، هذا الأسلوب فى اختيار الموضوعات لم يكن قاصرا على الصور المستوحاة من الكتاب المقدس، ولكنه طبق على الرموز الوثنية التى استغلت بصورة تلقائية فى التعبير عن مضمون التجسيد الإلهي في الأرض (أو كيف يكون للإله صورة دنيوية). ولأن المضمون الأسطوري فى المسيحية لم يكن قد اكتمل بعد للتعبير الشعبي عن هذا المضمون الفلسفي العميق، ولأن التراكيب الوثنية هي التى كانت فى تلك الفترة مسيطرة على عقلية العامة، فكان اللجوء إليها كان أمرا طبيعيا، فالإله (زيوس) كبير الآلهة اليونانية تجسد على الأرض فى صورة بقرة فى قصته مع أوروبا[٤٦]، وفى

---

44 ناقش أيقونة أضحية إبراهيم بإسحاق العديد من العلماء، وقد كان هناك شبه اتفاق حول استقلالية كل لوحة عن الأخرى فى تجسيد النص الديني، الأمر الذي جعل لها سمة مميزة فقط من ناحية الأسلوب الفني وليس الموضوعي، راجع:

Quibell, J.E., Excavations of Saqqara, (Le Caire 1909) I-VI; Van Woerdon, K., The Iconography of Sacrificeof Abraham. (V.C., 15, 1961) 214-225; Van Loon, G., The Sacrifice by Abraham and the Scarifice by Jephthah in Coptic Art, (in Coptic Art And Culture, Cairo, 1990), 44-48.

45 Fakhry, The Necropolis of el-Bagawat in Kharga Oasis, (Cairo, 1951); 62-64.

46 Weitzmann, K., Age of Spirituality, Late Antique and Early Christian Art, (New York, 1978) no. 147.

صورة النسر الذي ينقض على صبي فى قصته مع (جانيميدس)[٤٧]. وهناك (هراكليس) الإله ذو الصفتين معا البشرية والإلهية فى محاولة لتجسيد شخصية المسيح القوي على الملابس والأكفان مما يحقق للقصة مستوى شعبي مقبول لدى العامة[٤٨].

كما ان مفهوم التأثيرات الوثنية فى الأيقونوجراقية المصرية يجعلنا نتجه ناحية الإلهة (الاعتبارية) التي استخدمت كالأيقونات بوظيفتها الوثنية ولكن بتفسير مسيحي مستتر روحانى فى اغلب الاحيان، وهو نمط من الأيقونات المسيحية التى ظهرت بوضوح فى إقليم أهناسيا ويعرف بفن النحت الأهناسي، وفيه مورست الأنماط الوثنية المستوحاة من الأرشيف الكلاسيكي المصري واليوناني دون تقيد وكأنها جزءا من نسيج الثقافة المسيحية الجديدة الممارسة فى مصر الوسطي. نجد الإله (ديونيسوس) أو (باخوس) فى المتحف القبطي يرمز للخمر المقدس الذي ينقل المؤمن من الحالة الناسوتية إلى الحالة الإلهية[٤٩]. وهناك الإله (نيلوس) إله النيل والخيرات ذو الطابع الناسوتى المتصل دائما بالبشر بواسطة خيراته وهباته، فهو نموذج للمسيح الخير صاحب المنح والهبات الكثيرة[٥٠]. وعلى نمط زيوس وهراكليس ونيلوس نجد (أفروديتى) وباخوس وابوللو والساتير والميادر (أتباع ديونيسوس) وغيرهم من الآلهة الوثنية المستوحاة من الأرشيف اليوناني فى مصر، حيث تم توظيفهم لتدعيم الفكر المسيحي فى مصر فى محاولة لأدراك تبسيط طبيعي شعبي فى تفسير العقيدة الجديدة حتى ولو قامت على المزج الفلسفي الأسطوري فى تلك الفترة[٥١].

أيضا على صعيد الموضوعات الوثنية نجد تلك الرؤية الدالة على (حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص، فقد نجد أن مفهوم الخلاص فى المسيحية المبكرة هو مفهوم مصري صميم حددته ملامح الأفكار المسيحية- الغنوسية فى مصر قبل أي شعوب أخرى فى المنطقة، وأصبحت الرؤية الروحانية التى تحدد صفات حورس

47 Weitzmann, K., Age of Spirituality, Late Antique and Early Christian Art, (New York, 1978) no. 148.

48 Essen, Koptische Kunst, Christentum am Nil, (V. II a. Hugel, 1963) no 44; Duthuit, G., La Sculpture Copte, (Paris, 1931) 560-66.

49 حول لوحة الإله باخوس فى المتحف القبطي ، راجع : أيضا:
Villard, M., La Sculptura ad Ahnas, (Milan, 1923) 40-43ff.

50 حول نحت الإله نيلوس، راجع:
Cooney, J.D., Late Egyptian and Coptic Art, (Brooklyn, 1943)15-16. Bonneau D., Le Dieu, Nil Hors d'Egypt aux epoques grecque– romaine et byz. (BIFAO, 94,1994), III.51-55; Villard, M., La Sculptura ad Ahnas, Milan, 1923) 40-43ff.

51 حول التأثير الفلسفي فى الموضوعات الوثنية الأسطورية اليونانية ، راجع:
Elsner, J., Imperial Roman and Christian Triumph, Oxford, (1998),13-14, 49-49,108-109.; Duthuit, La Sculpture Copte, (Paris, 1931) pl. x.b; Beckwith, Coptic Sculpure, (Londres, 1963).,no.62.; Drioton, E., Trois Documents pour L'etude de L'art Copte, (BSAC X, 1944)27ff.

بوصفها الرؤية المصرية فى التعبير عن كينونة المسيح الإلهية البشرية معا. كذلك حورس ولد بدون أب وبأمر إلهي من رع طبقا لمفهوم الموروث المصري. كما أنه يملك الصفتين الناسوتية واللاهوتية. وله تجربة فى العبور إلى العالم الآخر والعودة مرة أخرى. وهى نفس الصفات التى ارتبطت بشخصية الفارس المنقذ من التنين الشرير طبقا للمفاهيم الروحانية فى رؤيا يوحنا وايحاء دانيال ويمكن الاستدلال عليها من لوحة الفارس المخلص حورس المسيح[٥٢]

هكذا نجد ان ظهور الفكر التصوفي أو الروحاني قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر الغنوسي- المسيحي فى مصر. كما أنه شكل محوراً أساسياً فى الثقافة الدينية على كافة المستويات بصفة عامة، وبالتالي فأن الفن القائم والمعبر عن الثقافة المصرية المعاصرة سوف يتأثر بتلك بالحالة الروحانية، لذلك تقترح هذه الرؤية تقديم اقتراحات جديدة لتقييم الفن الروحاني وأصوله فى مصر من خلال البحث عن أصول الموضوعات الفنية المسيحية فى العصر المبكر، وتوظيفها لخدمة المتغييرات الثقافية الجديدة فى مصر.

---

52 حول الارتباط المشترك بين العنصرين المصري القديم والمسيحي فى الأسلوب الفنى والموضوعي راجع:

Badawy, A., Coptic Art and Archeology, (London, 1978), 220-221; M.H. Rutschowscaya, La Sculpture Copte, Musee de Louvre,(BIFAO=Bulletin de L'Institut Francais d'Archeologie Orientale, 1993), 317-322; Duthuit, G., La Sculpture Copte,(Paris, 1931),50-54; Török, L., On the chronology of the AHNAS Sculpture, (AAASH=Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae,22, 1970),.163-166.

قاعدة المعلومات لشرح العناصر الروحانية فى الفن المسيحي المبكر فى مصر

معجزات السيد المسيح

معجزات التغلب على الطبيعة معجزة الخبز المبارك ومعجزة تحويل الماء إلى نبيذ فى عرس قانا وهما جزاء من الطقوس الافخارستيا السرية فى الكنيسة.

المعجزتان فى مغارة كرموز المسيحية (المختفي آثارها حاليا) وترجع إلى نهاية القرن الرابع

المعجزات المصورة فى مغارة القديس أبي يحنس فى الشيخ عبادة التى ترجع إلى نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي.

معجزة اقامة لعازر من الموت

التفسير الروحاني: العلاقة بين مسألة تحويل الماء إلى نبيذ ومعجزة الخبز المبارك أن كلاهما فى المفهوم الأرثوذكسي يعبران عن مفهوم الجسد ودمائه. وهى بالفعل لغة اخري قد تخرج بنا بعيدا عن التفسير الأثري العادي. فهو يعني تحول الجسد إلى صورته الأصلية الروح. فإن الماء هنا يشير إلى صفة الجسد الذي سوف يتحول إلى روح مقدسة بسبب اسكاره بالنبيذ المقدس. وأن الطبيعة البشرية سوف تتحول إلى صورتها الحقيقية الروح. ولكن هذا التحول قد يعني البحث عن نوعية النبيذ المراد أدراكه. وهو نموذج للمعرفة الشخصية التى تبحث عن التخلص الذاتي ونقاء روحها.

زيوس والبقرة أوروبا

نحت عاج من الاسكندرية القرن الرابع الميلادي

- التفسير الروحاني
- التجسد الإلهي على الأرض أو مرحلة الاتصال الإلهي - الإنساني على الأرض
- تذكر عند شرح مراحل الظهور غير المتكامل للرب قبل الظهور الكامل للمسيح عند كليمنت السكندري ومناقشات الأسقف اثناسيوس.

نحت جداري من اهناسيا القرنين الخامس والسادس الميلادي

لاهوت وناسوت (الإله باخوس)

التفسير الروحاني للعمل يقترح:
أن الإله باخوس فى الجزء الأولى من اللوحة يمثل المسيح فى هيئته البشرية كرجل معلم فيلسوف وقدوة يضع يده فوق كتف شاب يمثل أحد تلاميذه أو رمز للمؤمنين عموماً. وهو هنا يعطى لنا نموذجا للجانب الناسوتى للمسيح، ووسيلة للتعبير الفنى هنا أن الفنان أراد أن يعطى للإله باخوس مخصصه الدائم وهى يحتسى الخمر، أي أن عملية الوصول إلى الحالة الروحية لم تتم بعده وأن عناصر إتمامها هى القدوة أو الايمان واحتساء الخمر المقدسه وهى أحد أهم عناصر العقيدة المسيحية والغنوسية فى كافة مذاهبها.

نحت أهناسيا حوالي القرن الثالث – الرابع الميلادي. المتحف القبطي

الجزء الثاني فهو يمثل الجانب اللاهوتى من الثنائية العقائدية. وهى حالة اللامعقول أو الحالة الروحية التى يصل إليها المؤمن عقب شرب الخمر فيصل إلى درجة الأبهان الروحي، فيصبح شابا على الدوام روحياً وجسدياً. وهو أيضاً النموذج المثالي الذى صور فيه المسيح فى حالة الخلود الدائم بعد ذلك، بينما صورته وهو ملتح كبير السن هى الحالة التى عاش فيها بين البشر على الأرض.

بيرسيوس منقذ أندروميديا وقاهر الميدوزا

- أسطورة يونانية، تصوير جداري من بومبي القرن الثاني الميلادي.
- نموذج للتفسير الروحاني عند المؤرخ الفني فيلوستراتوس Philostratos:
- طهارة اندروميديا التى يجب الحفاظ عليها، الثقة فى قدرة الرب على الخلاص، شخصية البطل المقدس بيرسيوس، الروح الإلهية التى ساعدت بيرسيوس فى القضاء على الشر المتمثل فى الميدوزا.
- تشبيهات فيلوستراتوس بما يلائم ثقافة العصر:
- اندروميديا، العذراء الطاهرة
- بيرسيوس، المسيح على الأرض
- الميدوزا والتنين، الشيطان والشر المطلق
- القوة والمثالية فى الأسلوب الفني

أضحية إسحاق

التصوير الجداري فى غرفة الطعام كنسية الأنبا أرميا بسقارة (القرنين الخامس والسادس الميلاديين)

أضحية إسحاق المقبرة ٨٠ مقابر البجوات واحة الخارجة

الرمز الروحاني للقصة:

- الأمر الإلهي
- الطاعة الكاملة للأمر الإلهي
- علاقة الابن المطيع بالأب القائد والمعلم
- الثقة فى الأمر الإلهي والثقة فى الأنقاذ والخلاص الإلهي
- المصدر نص ايحاء ابراهيم

زيوس والبجعة ليديا

نحت جداري من اهناسيا القرنين الخامس والسادس الميلادي

التفسير الروحاني:

التجسد الإلهي على الأرض
كما انّ المنظر يصور الوحي الإلهي المقدس للملاك القادم من السماء.

مولد أفروديتي

نحت جداري من اهناسيا القرنين الخامس والسادس الميلادي

التفسير الروحاني:

الولادة من العدم بالأمر الإلهي
نموذج لتفسير ولادة المسيح بالكلمة.

حورس الفارس المنقذ

نحت أهناسيا القرن الرابع الميلادي

(حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص.

السمة العسكرية المعبرة عن عصر القوة الإيمانية المكتسبة بعد الاعتراف بالمسيحية فى تلك الفترة.

الرؤية المصرية فى التعبير عن كينونة المسيح الإلهية البشرية معًا.

حورس ولد بدون أب وبأمر إلهي من رع طبقًا لمفهوم العروث المصرى.

يملك الصفتين الناسوتية واللاهوتية.
وله تجربة فى العبور إلى العالم الآخر والعودة مرة أخرى.

شخصية الفارس المنقذ من التنين الشرير طبقًا للمفاهيم الروحانية فى رؤيا يوحنا وإيحاء دانيال.

فلك نوح

المقبرة رقم ٨٠ البجوات واحة الخارجة ٥م

مفهوم الوحدة فى العقيدة، الثقة فى شخصية القائد، خلاص المؤمنين، الفلك أو الكنيسة وسيلة الخلاص للمؤمن، المشاركة الجماعية، العناية الإلهية.

يونان والحوت

المقبرة رقم ٣٠ البجوات واحة الخارجة ٤م

عقاب عدم الثقة فى الأمر الإلهي، التوبة والاستغفار من الخطيئة، العقاب الوقتي، الصبر على البلاء، الثقة فى الخلاص الإلهي، ثم الخلاص والتمتع به.

خروج آدم وحواء من الجنة

التفسير الروحاني: مفهوم الخطيئة، والذنب، وعدم الطاعة، العقاب الإلهي، التعرف على شهوانية النفس البشرية، خطورة مفهوم الخروج من العناية الإلهية، التوبة، والعمل على العودة مرة أخرى للمقر الطبيعي للروح في الجنة. نص إيحاء آدم وحواء الغنوسي.

المقدرة ق ٣-٤ الجصات ساحة الخارجة ٤م ... المقدرة ق ٣-٤ الجصات ساحة الخارجة ٤م

أم الإله ايزيس والطفل حورس
العذراء مرضعة المسيح الطفل الإله

كرانيس ٣-٤م ، دير الأنبا ارميا سقارة ٥م

- حاملة الإله أو الكلمة المقدسة
- الطفل الإله
- إثبات علاقة الأم بالابن الإله من خلال تسابيح (الثيوتوكس) التي ترتل يومياً في الكنيسة كصور رمزية. وطقس روحاني بديع عن المذهب المصري منذ القرن الخامس الميلادي وإلى الآن.